

## تفسير البحر المحيط

@ 195 @ مخالف فيه ، فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال ، وأما قوله كما أخلصت  
الهمزة إلى آخره فليس ذلك إلاّ على مذهب من يزعم أن الأصل فيه أله ، وأما من يزعم أن  
أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء ، ولو قلنا إن أصله إله وحذفت  
فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض ، إذ لو كانت للعوض من المحذوف  
لثبتت دائماً في النداء وغيره ، ولما جاز حذفها في النداء قالوا : يا إله بحذفها وقد  
نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ . وقال ابن عطية : واللام في قوله { لَسَوْفَ }  
{ مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلًا قال للكافر : إذا مت يا فلان  
لسوف تخرج حياً ، فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد ، وكرر اللام حكاية للقول الأول  
انتهى . ولا يحتاج إلى هذا التقدير ولا أن هذا حكاية لقول تقدم ، بل هذا من الكافر  
استفهام فيه معنى الجحد والإنكار ، ومن قرأ إذا ما أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى  
عليه ، وإما أن يكون إخباراً على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك إذ لم يرد به  
مطابقة للفظ للمعنى . وقرأ الجمهور { أَخْرَجَ } مبنياً للمفعول . وقرأ الحسن وأبو  
حيوة مبنياً للفاعل . وقال الزمخشري : وإيلاؤه أي وإيلاء الطرف حرف الإنكار من قبل أن ما  
بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً ، ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن  
أحين تمت عليك نعمة فلأن أسأت إليه . .  
وقرأ أبو بحرية والحسن وشيبة وابن أبي ليلى وابن منذر وأبو حاتم ومن السبعة عاصم  
وابن عامر ونافع { أَوْ لَا \* يُذَكَّرُ } خفيفاً مضارع ذكر . وقرأ باقي السبعة بفتح  
الذال والكاف وتشديدهما أصله يتذكر أدغم التاء في الذال . وقرأ أُبَيٌّ يتذكر على الأصل  
. قال الزمخشري : الواو عاطفة لا يذكر على يقول ، وسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه  
وحرف العطف انتهى . وهذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أن حرف العطف إذا تقدمته الهمزة  
فإنما عطف ما بعدها على ما قبلها ، وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام ، وكان مذهبه أن  
يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو الهمزة على حالها ، وليست  
مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة . .  
{ أَزَّيَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ } أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف إلى الوجود ،  
فكيف ينكر النشأة الثانية وهذه الحجة في غاية الاختصار والإلزام للخصم ، ويسمى هذا النوع  
الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي ، وقد تكرر هذا الاحتجاج في القرآن : {  
وَلَمْ يَكُ شَيْئاً } إشارة إلى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على أن المعدوم

لا يسمى شيئاً . وقال أبو علي الفارسي : { وَلَمْ يَكُ شَيْئاً } موجود أو هي نزعة  
اعتزالية والمحذوف المضاف إليه { قَبْلُ } في التقدير قدره بعضهم { مِنْ قَبْلُ } بعثه  
، وقدره الزمخشري { مِنْ قَبْلُ } الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه انتهى . .  
ولما أقام تعالى الحجة الدامغة على حقية البعث أقسم على ذلك باسمه مضافاً إلى رسوله  
تشریفاً له وتفخيماً ، وقد تكرر هذا القسم في القرآن تعظيماً لحقه ورفعاً منه كما رفع  
من شأن السماء والأرض بقوله { فَوَرَّبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الرَّحْمَنُ } والواو  
في { وَالشَّيَاطِينَ } للعطف أو بمعنى مع يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووه  
، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وهذا إذا كان الضمير في { لَدَخُورَ زَهْمُ }  
للكفرة وهو قول ابن عطية وما جاء بعد ذلك فهو من الإخبار عنهم وبدأ به الزمخشري ،  
والظاهر أنه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين كما فرق  
في الجزاء ، وأحضروا جميعاً وأوردوا النار ليعاين المؤمنون الأحوال التي نجوا منها  
فيسروا بذلك ويشمتوا بأعدائهم الكفار ، وإذا كان الضمير عاماً فالمعنى يتجاثون عند  
موافاة شاطيء جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التوافق للحساب قبل  
الوصول إلى الثواب والعقاب . وقال تعالى في حالة الموقف { وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ  
جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا } و { جِثِّيَا } حال مقدرة . وعن  
ابن عباس : قعوداً ، وعنه